

الأمثل في تفسير كتاب الأ المنزل

[462] بعدها . ففي القرون الأولى كان الإسلام يتقدم في العالم بسرعة ، ويثبت في كل مكان منه أنوار العلم والحريّة ، ويبسط طلاله على أقوام جدد بالثقافة والعلوم ، فكان ذا قدرة متحركة ومحركة وبندّاءة معاً ، وجاء بمدينة زاهرة لم يشهد التاريخ مثلها ، ولم تمر بضعة قرون حتى أخذ الخمول يعطل تلك الحركة ، وأخذت الفرقة والتشتت والضعف والخور والتخلف مكان ذلك الرقي ، حتى بدأ المسلمون يمدون أيديهم إلى الآخرين طلباً لوسائل الحياة الإبتدائية ، ويبعثون بأبنائهم إلى ديار الأجانب لأخذ الثقافة والعلم ، بينما كانت جامعات المسلمين يومئذ من أرقى جامعات العالم العلمية والمراكز التي تهوي إليها أفئدة الأصدقاء والأعداء ابتغاء المعرفة . لكن الأمور بلغت حداً بحيث أنهم لم يصدورا علماً وصناعة ، بل استوردوا ما يحتاجونه من خارج بلدانهم . وأرض فلسطين التي كانت يوماً مركز مجد المسلمين وعظمتهم ولم يتمكن الصليبيون - لمدّة مئتي عام - برغم تقديمهم ملايين القتلى والجرحى من ابتزازها من أيدي المقاتلين المسلمين . إلا أنهم أسلموها "اليوم" خلال ستة أيّام ببساطة ، في وقت كان عليهم أن يعقدوا المؤتمرات أشهراً وسنين لإرجاع شبر منها . ولا يعرف بعد هذا إلى أية نتيجة سيصلون؟ ألم يعدّوا عباده بالقول: (وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين)(1) . أو قوله: (وإلى العزة ولرسوله وللمؤمنين)(2) أو قوله: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون)(3) .

1 - الروم ، 47 ، 2 - المنافقون ، 8 ، 3 - الأنبياء ، 105 .